منهج إمام الحرمين الجويني في نقد مصادر الديانة النصرانية (الأناجيل الأربعة)

Imam al-Haramain al-Juwaini's Approach to Critique the Sources of the Christian Religion The Four Gospels

بن زيان الحاج[1]
جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان
benzianehadj149@gmail.com

خليفي الشيخ
جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان
khelificheikh@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/11/01 القبول 2022/09/02 النشر على الخط 2022/09/15
Received 01/11/2021 Accepted 02/09/2022 Published online 15/09/2022

ملخّص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن إحدى مناهج علماء المسلمين في الرد على أهل الكتاب ألا وهو منهج الإمام الجويني. وإن كان المنهج العام لهؤلاء العلماء المسلمين يدور حول كشف الاختلافات والتناقضات والأخطاء الموجودة في مصادر اليهود والنصارى وفي عقائدهم ، فإننا نعتبر منهج الإمام الجويني إحدى مناهج هؤلاء العلماء والمفكرين المسلمين في الرد على أهل الكتاب، لذا هو جدير بالبحث والدراسة . نحاول في هذه الدراسة الوجيزة أن نبين منهج الإمام وطريقته في التعامل مع مصادر الديانة النصرانية (الأناجيل الأربعة) ونقدها من خلال طرح بعض التساؤلات: مالمقصود بمنهج الجويني في نقد مصادر النصرانية (الأناجيل الأربعة) ؟ وماهي خطوات هذا المنهج ؟ وهل هو منصب على النقد الخارجي أي الجانب الشكلي فقط أم يشمل أيضا النقد الداخلي(النصي) ؟. يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلنا إليه من هذه الدراسة في النقاط التالية :

1- يمثل منهج إمام الحرمين الجويني في نقد مصادر الديانة النصرانية (الأناجيل الأربعة) نموذجا تطبيقيا واضحا على تقدم المسلمين في مجال نقد النصوص والمصادر القديمة بغية التحري والتثبت والاستقصاء للوصول إلى الحقيقة وكشف ما بتلك النصوص من التحريف والتبديل .

2- إثبات الإمام الجويني أن هذه الأناجيل الأربعة محرفة ومصدرها بشري فليست هذه الكتب من تأليف عيسى عليه السلام كما ادعى النصارى ولم تكن من الوحي ولا مصدرها إلهي.

الكلمات المفتاحية: منهج الجويني – نقد مصادر النصرانية

Summary:

This research aims to reveal one of the approaches of Muslim scholars in responding to the People of the Book, which is the approach of Imam Al-Juwayni. If the general approach of these Muslim scholars revolves around revealing the differences, contradictions and errors that exist in the sources of the Jews and Christians and in their beliefs, then we consider the approach of Imam Al-Juwayni as one of the methods of these Muslim scholars and thinkers in responding to the People of the Book, so it is worthy of research and study. In this brief study, we try to show the approach of the Imam and his method in dealing with the sources of the Christian religion (the Four Gospels) and criticizing them by asking some questions: What is meant by Al-Juwayni's approach in critiquing the sources of Christianity (the Four Gospels)? What are the steps of this approach? Is it focused on external criticism, i.e. the formal aspect only, or does it also include internal criticism (textual)?. The most important results that we have reached from this study can be summarized in the following points:

1- The approach of Imam al-Haramayn al-Juwayni in criticizing the sources of the Christian religion (the Four Gospels) represents a clear applied model on the progress of Muslims in the field of criticism of ancient texts and sources in order to investigate, verify and investigate to reach the truth and reveal the distortion and alteration of those texts.

2- Imam al-Juwayni’s proof that these four gospels are distorted and their source is human. These books were not the authorship of Jesus, peace be upon him, as the Christians claimed, and they were not from revelation nor from a divine source.

Keywords: Jouini's Method- Critique of Christian Sources.

[1] المؤلف المراسل : **بن زيان الحاج** البريد الالكتروني: **khelificheikh@gmail.com**

تمهيد :

يعتبر إمام الحرمين الجويني – رحمه الله – أحد العلماء والمفكرين المسلمين الذين برزوا في ميدان دراسة الأديان والعقائد والنحل ونقدها والرد عليها من خلال دراسته التي كشفت عن مناخ الجدل القائم بين المسلمين واليهود والنصارى ، فقد كتب رسالة سماها "شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل " . وهي دراسة مختصرة ،يعالج فيها عدة قضايا متعلقة بمصدرية التوراة إلى موسى (عليه السلام) والأناجيل إلى عيسى (عليه السلام).

وقد كان لهذه الرسالة أثر كبير وصدى عميق فيما كتب بعدها في حقل الجدل الدّيني ضد اليهود والنصارى ، استفاد منها كل من جاء بعده وبخاصة الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه " الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل " والإمام القرافي في كتابه "الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة " ورحمة الله الهندي في كتابه القيم "إظهار الحق " والإمام بن القيم الجوزية في كتابه " هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى".

وإن كان المنهج العام لهؤلاء العلماء المسلمين يدور حول كشف الاختلافات والتناقضات والأخطاء الموجودة في المصادر وفي عقائد اليهود والنصارى ، فإننا نعتبر منهج الإمام الجويني إحدى مناهج هؤلاء العلماء والمفكرين المسلمين في الرد على أهل الكتاب، لذا هو جدير بالبحث والدراسة .

نحاول في هذه الدراسة الوجيزة الكشف عن طريقة الإمام في التعامل مع مصادر الديانة النصرانية من خلال طرح التساؤلات الآتية: ما لمقصود بمنهج الجويني في نقد مصادر النصرانية (الأناجيل الأربعة) ؟ وماهي خطوات هذا المنهج ؟ وهل هو منصب على النقد الخارجي أي الجانب الشكلي فقط أم يشمل أيضا النقد الداخلي(النصي) ؟.

ونهدف من وراء هذا البحث أولا: التعريف بمنهج الجويني النقدي لمصادر النصرانية المتمثلة في الأناجيل الأربعة والكشف عن طبيعته وخصائصه . ثانيا :بيان أن هذا المنهج يعد نموذجا تطبيقيا واضحا على تقدم المسلمين في مجال نقد النصوص والمصادر القديمة بغية التحري والتثبت والاستقصاء للوصول إلى الحقيقة .

إن موضوع "منهج نقد مصادر الديانة النصرانية عند علماء الإسلام" وما ينطوي عليه من التساؤلات ليس جديدا كل الجدة، وإنما هو موضوع نتصور أنه قديم. ولكن تناوله بصفة خاصة عند الجويني وبهذه الطريقة لم يخصه أحد – في حدود ما أعلم – ببحث أو مؤلف خاص. باستثناء المقال الذي كتبة الدكتور عبد الوهاب فرحات في مجلة مخبر الدراسات الشرعية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بعنوان "منهج النقد التاريخي عند إمام الحرمين".

وقد اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن استخدم منهج الوصف والسرد المناسب لعرض منهج الإمام وطبيعته وسماته واستخدام أيضا المنهج التحليلي النقدي المقارن والمتمثل في تحليل سند الأناجيل ونصوصها ومقارنة بعضها ببعض ثم عرض نقد الجويني لها.

لقد حاولت أن أعالج هذه الإشكالية المطروحة ضمن خطة بحث أولية تتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة . فالتمهيد يبين أهمية الموضوع والإشكالية المطروحة والأهداف المرجوة والمنهج المتبع في الدراسة ، أما المبحث الأول: تناولت فيه التعريف بالأناجيل الأربعة من خلال أربعة مطالب ، كل مطلب يعرف بإنجيل من هذه الأناجيل ، أما المبحث الثاني : تناولت فيه نقد الجويني لمصادر النصرانية (الأناجيل الأربعة) من خلال مطلبين: الأول يبين النقد الخارجي للأناجيل والثاني يبين النقد الداخلي لها . أما الخاتمة تبين أهم النتائج التي توصل إليها من هذا البحث والتوصيات التي خرج بها .

المبحث الأول: التعريف بالأناجيل الأربعة:

قبل عرض منهج الجويني وطريقته في نقد سند ونصوص هذه الأناجيل الأربعة لابد من الناحية المنهجية أن نعرف بها أولا

المطلب الأول: التعريف بإنجيل مرقس

كلمة إنجيل : في معناها اللغوي مشتقة من اللفظ اليوناني ، أولها: إيف : ومعناها السرور . وأنجيلوس : الخبر . فيكون معناها الكامل

(إيفانجيلوس) : الخبر السار المفرت وهي تشير إلى "بشارة المسيح بخلاص البشر من الموت والخطيئة ، وهذا الفن من الفنون الأدبية الملهمة خاص بالمسيحية دون سواهاَ .[1] والترجمة العربية أو الكلمة العربية للإنجيل : البشارة تشمل على هذا المعنى أيضا ، أنها كتاب رسولي يختص بحياة المسيح على الأرض .[2] وأصل هذه الكلمة وضعت للدلالة على الرسالة التي كلف الأب اليسوع تأديتها لشعبه وقوام هذه الرسالة أن يرسخ المسيح يسوع ملكوت الله بين البشر ، فهي إذا ملازمة ليسوع المسيح إلى درجة يمكن القول معها أن اليسوع هو نفسه الإنجيل البشري السارة التي أعلنت للناس أجمعين [3] وأصل الإنجيل كما يراه النصارى هو الأقوال والأمثال التي يدلي بها عيسى لحوارييه وأتباع حياته على الأرض – وهم يضيفون إلى ما سبق – الأحداث التي أحاطت بعيسى عليه السلام .[4] وأنه موجود في تنبؤات العهد القديم ، ويتمثل في عبارات موجودة في الأسفار تتحدث عن مجيئ المخلص المنقذ والفادي الذي سيأتي بالميثاق الجديد[5] . وأما أصل الإنجيل في اعتقادهم أصل المسيح من المواعظ ، والحكم و الأحكام ليحكم به بني إسرائيل وليوجههم به إلى اتباع الحق بعد أن ضلوا عنه . قال تعالى :﴿ الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للنّاس وأنزل الفرقان ...﴾ (آل عمران ، الآيات : 1 – 4) وما بينته أيضا السنة النبوية ، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام

---

[1] نهى النجار – موسوعة الأديان السماوية والوضعية – الديانة المسيحية ،ط1 (بيروت – دار الفكراللبناني95)،ص33

[2] أحمد حجازي السقا– مقدمة تحقيق كتاب" شفاء الغليل في بيان ما وقع في التّوراة والإنجيل من التّبديل" للإمام الجويني ،ص59

[3] العهد الجديد (مقدمة)ط1(بيروت لبنان ،جمعية الكتاب المقدس ،1995 م

[4] أحمد حجازي السقا – المرجع السابق ،ص 59

[5] نهى النجار– المرجع السابق ،ص 33

الترمذي بسنده عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : (جاءت فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادما ، فقال لها:اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والإنجيل والقرءان فالق الحب والنوى..) [1]

إلا أن الإنجيل المعروف حاليا والذي تعترف به الكنيسة اليوم وتأخذ به إذ هو المتضمن لعقائد النصارى جاء بعد تلك الخلافات التي دارت حوله بسبب ما تعرض إليه من التحريف والتبديل، فكان هذا داعيا كبيرا إلى انقسام النصارى إلى طوائف ، وفرق حوله ، هذا الانقسام أدى إلى احتدام الصراع والنزاع بينهم والذي أدى بدوره هو الآخر إلى ظهور عدة أناجيل ، والتاريخ خير شاهد على ذلك ، يقول محمد أبو زهرة : إن التاريخ الذي يحدثنا عن وجود أناجيل أخرى في العصور الغابرة أخذ بها فرق قديمة ، لم تعتنق كل فرقة إلا إنجيلها ".[2] "وقد أجمع على ذلك مؤرخو النصرانية ".[3]

إنجيل مرقس: نسبة إلى مرقس أحد أتباع المسيح ،لم يكن من الحواريين وقيل أنه كان تلميذ لبطرس أحد الحواريين ، ولد في القدس وهو يهودي الأصل تعتبره الطوائف المسيحية مجتمعة على أنه من بين السبعين الذين نزل عليهم الروح القدس، تنقل بين البلدان، وقام برحلات تبشيرية إلى أنطاكية وقبرص [4] ثم استقر في مصر وتركز نشاطه هناك حتى قتل على الوثنين، ويذكر المؤرخون أن ذلك كان سنة 62 ميلادية ،اختاره أهل البندقية (فينسيا) حاميا لمدينتهم وله في البندقية كنيسة تعد من أجمل كنائس العالم وأفخمها وأدقها عمارة..... [5]

هذا فيما يتعلق بأمر مرقس كاتب هذا الإنجيل فماذا يتعلق بصحة إنجيله ؟كتب مرقس إنجيله في روما يذكر ذلك أبو زهرة إذ يقول :" أنه كتب الإنجيل باليونانية وشرح فيه بعض الكلمات اللاتينية، وأخذ من ذلك أنه كتب في رومة "[6] إلا أن تاريخ كتابة هذا الإنجيل قد اختلف فيه فقيل :" ألف الإنجيل الثاني سنة 56 ميلادية ومابعدها إلى سنة 65 ميلادية والأغلب أنه ألف سنة 60 ميلادية أو سنة 63 ميلادية[7].

ويذكر ((ول ديورنت)) نقلا عن بيباس أو بابياس (papias) أسقف هيروبولس (Hiropolies) المتوفي في عام 130 ميلادية :" أن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس ، وقال ويتفق الناقدون بوجه عام على أسبقية إنجيل مرقس في الزمن على سائر الأناجيل وفي تحديد تاريخه بين عامي 65- 70 ميلادية [8] "كما كان الاختلاف حول كاتب هذا الإنجيل.

---

1 أخرجه أحمد في مسند على بن أبي طالب،حديث 1239 المسند تحقيق:أحمد شاكر(م. ث إسلامي 87)،ج2 ،ص299

2 محمد أبو زهرة– محاضرات في النصرانية ،تقديم عمار طالبي ، تصدير محمد الغزالي ،د ط (الجزائر – شركة الشهاب ،86 م) ،ص40

3 المرجع السابق ص 113

4 على عبد الواحد الوافي – الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ،دط (الفجالة القاهرة – دار النهظة – مصدر للطباعة والنشر ،دت) ، ص 74

5 محمد أبو زهرة – المرجع السابق ،ص 119

6 المرجع نفسه، ص 120

7 المرجع نفسه، ص120-121

8 ول ديورانت – قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ،ط القاهرة : جامعة الدول العربية ،ج 11 ،ص 207- 208

المطلب الثاني: إنجيل متى :

يشغل إنجيل متى المكانة الأولى بين الأناجيل الأربعة في ترتيب تقديم كتب العهد الجديد ،وقد نسب هذا الإنجيل إلى القديس متى وهو أحد الحواريين تلاميذ المسيح الإثني عشر [1] وهو من أصل يهودي ، عرف باسم آخر هو لاوى [2] كان يعمل عشارا يجبي الضرائب للحاكم الروماني كلوديوس آمن بالمسيح عليه السلام [3]

وقد اتبع متى عيسى عليه السلام عندما اختاره وصدق معه [4] وبعد رفع عيسى عليه السلام اعتبر متى من أشهر المبشرين بالمسيحية في بلاد الحبشة وقد اختلفت الروايات حول تاريخ وفاته ،ويقال أنه مات هناك [5] هذا عن أمر متى كاتب هذا الإنجيل ،فما صحة السند التاريخي لإنجيله ؟

اختلف المؤرخون حول تاريخ تدوين هذا الإنجيل، وحول ترجمته واتفق جمهور النصارى على أن متى ألف إنجيله بالعبرية ، وكل شخص فسره حسب قدرته ، فقيل أنه كتب ما بين 60- 70 ميلادية ، يقول ((ول ديورانت)) : ويعتقد ايرانيوس أنه كتب في الأصل باللغة العبرية أي الأرامية ولكنه لم يصل إلينا إلا باللغة اليونانية ، وإن كان النقاد يميلون إلى القول بأنه من تأليف أحد أتباع متى ، وليس من أقوال العشار نفسه ، وحتى أكثر العلماء يرجعون به إلى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامي 75- 90 ميلادية[6]. ويذهب بوست إلى أنه كان قبل خراب أورشليم [7] ،وبناء على هذا يتضح أن متى كتب إنجيله بالعبرية وأن أصله لا يعرف له وجود والموجود هو ترجمته اليونانية .

وجاء في الموسوعة البريطانية أن باباياس (papais) قال إن متى ألف إنجيله بالعبرية وكل شخص فسره حسب قدرته ... ولكن كون أن متى هو مؤلف الإنجيل أمر مشكوك فيه وهي شهادة رجل يحتل مكانة مرموقة في الكنيسة المسيحية [8] .

المطلب الثالث:إنجيل لوقا

إنجيل لوقا : نسبة إلى لوقا ، وهذا الإنجيل قد اختلفوا في شخصية كاتبه ،في صناعته (مهنته) وفي القوم الذين كتبوا لهم وفي تاريخ تأليف إنجيله ولم يتفقوا إلا على أنه ليس من تلاميذ المسيح.

كان لوقا يونانيا ،ويرجح أنطاكي أنه الأصل [1] ، إلا أن بوست يقول : ((إنه كان رومانيا نشأ بإيطاليا))[2] ومهنته الطب التي نسب إليها وليست أيضا موضع اتفاق ، بل من المؤرخين المسيحين من يقرّون أنه كان مصوّرا[3] وأديبا وثنيا اهتدى إلى المسيحية [4] ، أما ما

---

[1] محمد أبو زهرة - المرجع السابق ،ص 42 و ول ديورانت - قصة الحضارة ، ج 11،ص 208

[2] نهي النجار - المرجع السابق،ط1 (بيروت - لبنان ، دار الفكر اللبناني 95 م) ،ج6 ،ص 34

[3] ول ديورانت - المرجع السابق ،ج 11 ،ص 208

[4] محمود محمد السعدي – التبيان في الفرق والأديان ،ط1 (عمان - مؤسسة الوراق 2001) ،ص 259

[5] على عبد الواحد الوافي - المرجع السابق ،ص 70

[6] ول ديورانت – المرجع السابق،ج 11 ،ص 208

[7] محمد أبو زهرة - المرجع السابق ،ص 115

[8] محمد السعدي - المرجع السابق ،ص 15- 16

يخص صحة الإسناد في إنجيله فالقول فيه : أجمع مؤرخوا المسيحية على أن هذا الانجيل كتب باللغة اليونانية إلا أن الخلاف كان واسعا هل كتب إنجيله لليهود أم لغيرهم ؟ ومتى تم ذلك ؟

وعليه فلم يتفقوا على شيء فيه إلا كونه ليس من تلاميذ المسيح وأنه من تلاميذ بولس .

وإنجيل لوقا : هو أصرح الأناجيل دلالة على أنه ليس من كُتّاب الوحي وذلك لأنه يقول في افتتاحية الإصحاح الأول منه بأنه كتب إنجيله لصديق له : إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمنا إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة[5] رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن اكتب إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به[6] .

المطلب الرابع: إنجيل يوحنا

إنجيل يوحنا: نسبة إلى مؤلفه هو ذلك التلميذ الذي أحبه يسوع وأحد اثنى عشر رسولا، فيعتقد الكثير من علماء النصارى أنه يوحنا صاحب المسيح عليه السلام وأحد تلاميذه المقربين إليه إلا أن الملاحظات المعطاة من كبار الكتاب المسحيين في مسألة كاتب الإنجيل الرابع تؤكد غموض حول هويته [7] بشر بالمسيحية طوال حياته وتوفي بأفسس غرب تركيا شيخا هرما[8] وعلى اعتبار أن إنجيل يوحنا هو أخطر الأناجيل المسيحية إذ أنه الوحيد الذي يتضمن ألوهية المسيح، واعتمدت عليه الكنيسة في إقرارها هذه العقيدة فما مدى صحة نسبة هذا الكتاب إلى يوحنا ؟ .

عدم نسبة هذا الكتاب إلى يوحنا ، انطلاقا مما قرره علماء المسيحية منذ القرن الثاني الميلادي أن هذا المؤلف لا يمكن نسبته إلى يوحنا بن زبدي، كما قررت أيضا دائرة المعارف البريطانية وهي التي شارك في تأليفها أكثر من خمسمائة عالم من النصارى الغربيين أن إنجيل يوحنا لاشك أنه كتاب مزور أراد صاحبه مضادة حوارِيَيْن ، وهما القديسان : يوحنا ومتى ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ، ووضعت اسمه على الكتاب مع أن صاحبه غير يوحنا الحواري ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابط بينها وبين من نسبت إليه ، وإنا لنشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى

1 نهي النجار –المرجع السابق ،ص37
2 محمد أبو زهرة – المرجع السابق ،ص 121
3 موريس بوكاي – التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ،ترجمة لجنة من العلماء ،ط2 (بيروت – لبنان ،دار الكندي 1389هـ/1978م) ،ص 69
4 محمد السعدي – المرجع السابق ،ص 12
5 الكتاب المقدس انجيل لوقا – الإصحاح الأول
6 المرجع نفسه
7 علي عبد الواحد وافي – المرجع السابق ،ص 69
8 موريس بوكاي – المرجع السابق ،ص 70

رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد فإن أعمالهم تضيع سدى لخبطهم على غير هدى.[1]

أضف إلى ذلك الاختلاف الكبير حول تاريخ تدوين هذا الكتاب ، إذ لايعرف تاريخ تدوينه على وجه التحديد فيقول أحد القساوس المسيحيين : تتأرجح آراء العلماء بالنسبة إلى تاريخ كتابة الإنجيل – يقصد إنجيل يوحنا – ما بين 70 إلى ما بعد 160 أو 175 م.[2] وأرجح الأقوال ترجع نسبة تدوينه إلى سنة 90 بعد الميلاد .[3] وبناء على هذا يصبح تاريخ تدوين الإنجيل مجهولا ، وتحديده بالضبط مستحيلا كالجهل بتحديد شخصية الكاتب تماما ومن ثم تتضح عدم نسبة هذا الكتاب إلى يوحنا .

هذه هي مصادر النصارى الدينية التي أسسوا عليها عقيدتهم بكل ما تحمله من أوجه الاختلاف والخلاف وهؤلاء هم مؤلفوها بكل ما يكتنفهم من غموض . فكيف تعامل الإمام الجويني مع هذه المصادر ؟ وما هي القضايا التي أثارها في تحليلات ونقد هذه المصادر ؟

المبحث الثاني: نقد الجويني لمصادر النصرانية (الأناجيل الأربعة)

من الجلي في مناهج البحث الحديثة أن نقد النصوص يندرج في إطار البحث والنقد التاريخي، وانطلاقا من هذا النموذج التطبيقي والمتمثل في منهج الجويني النقدي لمصادر النصرانية، يمكننا تتبع خطوات ومراحل هذا المنهج وذلك من خلال تطبيقه على نصوص الأناجيل.

المطلب الأول : النقد الخارجي للأناجيل الأربعة

يقرر الإمام الجويني في البداية مسألة التحريف للإنجيل أيضا مثل ما حدث مع التوراة فقد أحدثت فيه تغيرات وأدخلت عليه إضافات ثم يبين بعد ذلك منهجه في دراسة هذه المسألة انطلاقا من قوله : إن أكثر العمليات في العلوم أنها جاءت من أخذ الحجج مسلمة من غير امتحان الفكر وتدقيق النظر في تصحيح مقدماتها [4] ومعناه تحكيم المنهج العقلي لا المنهج العاطفي أثناء الدراسة فهو بذلك يرفض التسليم بالرأي التقليدي دون البرهنة عليه كنسبة الإنجيل لعيسى عليه السلام بدون البرهنة على هذا الادعاء عن طريق الحجج والأدلة العقلية والنقلية .

طرح الإمام في دراسة مسألة التحريف والتبديل للإنجيل قضيتين :

أولها : دراسة سند الأناجيل : فقد بين الجويني قضية نقل رواية الأناجيل ثم نقدها بذكر ما اعتراها من ثغرات أوصلتها إلى ما هي عليه من تبديل وغلط فاحش ، ويعلل ذلك بقوله : أما غلطهم الفاحش وعدم تحفظهم فيما نقلوه : فلا مطمع للعقلاء في تصحيحه

---

[1] محمد أبو زهرة – المرجع السابق ،ص 263 - 264

[2] فهيم عزيز – المدخل إلى العهد الجديد – ط1 دار الثقافة المسيحية ،ص 560

[3] علي عبد الواحد وافي – المرجع السابق ،ص 78 علي عبد الواحد وافي – المرجع السابق ،ص 78

[4] الجويني إمام الحرمين– شفاء الغليل في بيان ما وقع في التّوراة والإنجيل من التّبديل ، تحقيق أحمد حجازي السقا ، النّاشر مكتبة الكليّات الأزهريّة ، القاهرة ، ط3 (1409هـ / 1989م) بمصر ، ص 35

والسبب الذي أوقعهم في الغلط فيما نقلوه غفلتهم عما يجب المبادرة إليه أزمانا يحصل فيه التبديل والنسيان لما طريقه السمع .[1] لأن هذه الطريقة غير سوية كما أنها معرضة للخطأ والزيادات والتغيير والنسيان خاصة إذا كانت متباعدة زمانيا وغير مضمونة موثوقة إلا بالرواية الشفوية .

ثانيها : قضية تأليف الأناجيل الأربعة : يذكر الجويني أن تأليف هذه الأناجيل جاء بعد سنوات من رفع المسيح.[2] فبعد أن عاش المسيح ما يقرب من ثلاثة وثلاثين سنة ثم فارق الحياة حسب اعتقادهم ،بعدها عشرين عاما بدأ تسطير أول الكتابات المسيحية وكانت تلك رسائل بولس الذي لم يكن قط من تلاميذ المسيح ثم أعقب ذلك فترة أخرى تقدّر بنحو الخمسة عشر عاما ظهر بعدها أقدم الأناجيل وهو إنجيل مرقس الذي لم يكن أيضا من تلاميذ المسيح[3].

فيقول الجويني : هذا أمر مصرح به في أناجيلهم ويقصد بذلك قصة تأليف وكتابة الأناجيل بعد رفع المسيح واختلافهم في تاريخ تدوينها ومن ثم وقع الغلط الذي لا حيلة في مدافعته بل كل من رام أن يتحمل له خيالا أحس من نفسه العجز وقصور الباع عن الوصول إلى ما يحاوله [4]

ولنأخذ على سبيل المثال إنجيل لوقا نعضد به رأي الإمام الجويني في القول بأن هذه الأناجيل ليست كتب الوحي وإنما هي من تأليف البشر.

ذكرنا فيما سبق أن إنجيل لوقا هو أصرح الأناجيل دلالة على أنه ليس من كتب الوحي وذلك لأنه يقول في افتتاحية الإصحاح الأول منه بأنه كتب إنجيله لصديق له : إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة من الأمور المتيقنة عندنا كما سلمنا إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة ،رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به .[5]

نستنتج من مضمون هذا النص أن هذا الكتاب هو بمثابة قصة كتبها صاحب هذا الإنجيل لصديق له أو رسالة أراد أن يبعثها إليه بدليل قوله : أن اكتب إليك أيها العزيز ثاوفيلس. أو هو عبارة عن كتاب سيرة شأنه ككتب السير والتراجم الأخرى ،فهذا دليل على أن هذا الكتاب أو هذا الإنجيل من تأليف البشر وليس من كتب الوحي فيتضح من هذه المقدمة أمور تؤيد ما قلناه ، نوجزها فيما يلي :

أولا : أن لوقا يكتب رسالة شخصية إلى ثاوفيلس وأن هذه الرسالة تكتب على التوالي حسب مزاج الشخص وما يتوفر لها من إمكانيات الكتابة من جو مناسب ووقت وصفاء الذهن ومعلومات ....

---

[1] المصدر نفسه – ص 45

[2] المصدر نفسه – ص 45 – 47

[3] أحمد عبد الوهاب – المسيح في مصادر العقائد المسيحية ،ط 1 القاهرة ، مكتبة وهبة (1971م) ،ص 39

[4] الجويني – المصدر السابق ،ص 47

[5] الكتاب المقدس – انجيل لوقا ،الإصحاح الأول

ثانيا : الواضح من المقدمة أن الدافع لكتابة هذا الإنجيل كان بدافع شخصي بحت ،ومن كانت هذه حاله فليس بكتاب وحي والذي يتنزه عن الشخصية والذاتية والخصوصية ، ثم أن لوقا لم يَدَّعِ أن هذه المعلومات أتته عن طريق الإلهام أو كان منقادا في كتابتها بتأثير الروح القدس أو أنه كتبها لأنه وعاها من المسيح عليه السلام .

ثالثا :قرر لوقا وبصراحة تامة أن معلوماته جاءت عن طريق اجتهاد شخصي لأنه قد تتبع كل شيء من الأول بتدقيق .

رابعا : يعترف لوقا أنه أيضا لم ير المسيح ، ولم يكن من تلاميذه لكنه كتب رسالته إلى ثاوفيلس بناء على ما وصله من الذين كانوا من حواري المسيح وكانوا في خدمته .

خامسا : وهو المهم إذ يقرر لوقا أن هناك كثيرين ألفوا كتبا ودوّنوا قصصا في الأمور المتيقنة عندهم [1] ممّا يدل على اعتراف لوقا أن تأليف هذا الكتاب هو كتأليف باقي الكتب والقصص الأخرى المتيقنة عند هؤلاء المؤلفين وليس بكتاب وحي تعالى على هذه الصفات والخصائص البشرية .

المطلب الثاني : النقد الداخلي للأناجيل الأربعة

لقد اهتم إمام الحرمين بنقد متن الأناجيل الأربعة اهتماما كبيرا وذلك يرجع إلى أمرين :

الأمر الأول : إثبات وجود الكذب والتناقض والاختلاف والنقصان والتحريف داخل نصوص هذه الأناجيل مما يدل على أنها من تأليف البشر ولم تكن من الوحي فهي غير معصومة ولا تكتسب الصفة الموثوقية المطلقة لكون أصحابها معرضون للخطأ والنسيان .

الأمر الثاني : إثبات أن هذه المصادر (الأناجيل) ليست هي التي أنزلت على المسيح عليه السلام ولم تكن من تأليفه أيضا ولهذا فقد اعتمد الجويني في إثبات وجود التحريف والتبديل أيضا على أساس داخل النص فذكر في كتابه شفاء الغليل عدة نصوص وردت في الأناجيل الأربعة تبين الاختلاف والتناقض فيما بينها مما يدل على اختلاف مصدرها .

ومن أبرز الأمثلة التي تثبت ذلك وتمثل النقد الداخلي للأناجيل عند الإمام الجويني ما يلي :

أولا : تناقض إنجيل (متى) و (لوقا) في ذكر نسب يوسف النجار : بين إمام الحرمين اختلاف(متى ولوقا) وتناقضهما في نسب يوسف النجار خطيب مريم والدة عيسى عليه السلام وربما يكون الجويني من الأوائل السابقين في التفطن والانتباه إلى هذه القضية فأخذها عنه من جاء بعده من المهتمين بدراسة ونقد المصادر المسيحية .

يبدأ الإمام أولا بعرض نسب يوسف النجار حتى ابراهيم عليه السلام كما ورد في إنجيل متى ثم يقوم بمناقشته ونقده مبينا الغلط الذي وقع فيه ،فيقول :" إن متى ذكر في إنجيله نسب يوسف النجار على نهج ما أنا ذاكره فقال يوسف بن يعقوب بن متان بن أليعازر...إلى أن ينتهي إلى ابراهيم محصيا بذلك تسعة وثلاثون أبا أو جيلا كما عبّر عنه إنجيل متى [2]

[1] عبد الوهاب فرحات – منهج النقد التاريخي عند الإمام الحرمين – مجلة مخبر الدراسات الشرعية – جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة – الجزائر ،العدد الثالث(محرم 1426 هـ – فيفري 2005 م)،ص 292- 293

[2] الإمام الجويني – المصدر السابق ،ص 47 – 48

ثم قال ويقصد بذلك متى :" فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود : أربعة عشر جيلا ،ومن داود إلى سبي بابل ويريد بسبي بابل : "يكينا " فإنه ولد وإخوته في سبي بابل : أربعة عشر جيلا ،ومن سبى بابل أي "يكنيا" إلى المسيح أربعة عشر جيلا " [1] يبين الجويني غلط متى في الحساب قبل مناقشته على الغلط في النسب، أما الحساب : لأنه قال :" ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا " وهذا مكان الغلط لأن من سبي بابل إلى المسيح لا يزيد عن ثلاثة عشر وقد اعتمد الجويني في ذلك على هذا التقسيم :

الجيل الأول :(1) ابراهيم ،اسحاق ، يعقوب ،يهوذا ،فارض ، حصرون ، أرام ، عميان داب ،نحشون ، سلمون ، بوعز ،عوبيد ،يسي،(14) داود .

الجيل الثاني : (1) سليمان ،رجيعان ، أبيا ، آسا، يهوشافط ، يورام، عزيا ، يوثام ، أحاز ، حزقيا ، منسى آمون ، يوشيا ، (14) يكينا(سبي بابل).

الجيل الثالث : (1) شالتئيل ، زربابل ، أبيهود ، ألياقيم ، عازور ، صادوق ، أخيم ، أليود ، أليعازر ،متان يعقوب ، (12)يوسف[2] وبالتالي يكون الحساب من سبي بابل (يكينا) إلى المسيح ثلاثة عشر أبا .

فالجويني يحسب الأجيال بعد السبي البابلي فيجدها ثلاثة عشر بدل أربعة عشر جيلا كما ذكر متى.

أما غلط متى في نسب يوسف يبينه الإمام الجويني بقوله :" وأما غلطه في ذكره أبا يوسف ؟، فليت شعر كيف خطر بباله : أن يجعل المسيح ويوسف من جملة أباء يوسف؟ لأنه قال :"ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا " وهو يريد بالجيل ههنا الأب فيلزم أن يكون المسيح عليه السلام ،ويوسف من جملة الآباء ويوسف ليس أبا لنفسه " ثم يقول معقبا على هذا الغلط :فانظر إلى هذا الكلام الذي ليس من السداد في شيء " [3]

ثم ينتقل الإمام الجويني لتأكيد الكذب والتبديل والتناقض والاختلاف إلى مقارنة ما ذكر في متى حول نسب يوسف النجار بما وجد في إنجيل لوقا ، فيذكر نسب يوسف الذي نص عليه لوقا في إنجيله : بادئا بـ "يوسف بن هالي ، بن متثات بن لاي ... إلى أن ينتهي إلى آدم عليه السلام محصيا بذلك أربعة وسبعون أبا. وبعد عرض الإمام لنسب يوسف النجار على الترتيب الذي ورد في إنجيل لوقا يشرع في مناقشة ونقد هذا القول مقسما الكلام عليهم في هذه المسألة فيقول :" هذا نسب يوسف ساقه (لوقا) هذا المساق وذكر آباءه شخصا شخصا منه الى آدم، وقد سمعت حديث صاحبه (متى) وما سلف منه من المباينة ،فإن كانا صادقين أي لوقا ومتى لزم أن يكون ليوسف أبوان محبلان لأمه(لأن "لوقا " ذكر اسما لأبي يوسف غير الاسم الذي ذكره به " متى " فيلزم عن ذلك وجود أبوان

---

[1] المصدر نفسه – ص 48
[2] الجويني – المصدر السابق – ،ص 49
[3] المصدر نفسه – ص 50

ليوسف) وكذلك الكلام في كل جد من أجداده ، وإن كانا يكذبان : جاز وقوع التبديل منهما إما عمدا أو غفلة وحينئذ تسقط الثقة بما نقلاه معتقدين أنه الحق." [1]

ثم يعترض الجويني عليهم لما وقع من التبديل الذي ينتج عنه فقدان الثقة بهؤلاء الرواة فيقول مستنكرا ذلك :"كيف يصدر الكذب ممن يعتقد فيهما : أنهما معصومان من الخطأ بروح القدس حين حلّت عليهما ؟ وإن كان أحدهما صادقا والآخر كاذبا عادت الحالة حين فرضا كاذبين " [2]

وبهذا يكون الإمام الجويني قد بين الكذب الذي وقع فيه الإنجيلين حول نسب يوسف النجار وكشف عن الاختلاف والتناقض الذي حصل لهما.

ويمكن أن نلخص أهم الفروق بين الإنجيلين فيما يلي:

أ) – ذكر "متى" نسب المسيح متوقفا عند سيدنا ابراهيم عليه السلام ،بينما "لوقا" فقد أوصله إلى سيدنا آدم عليه السلام فتفرد "لوقا" بالزيادة عن أجداد ابراهيم حتى آدم وقد أحصى بذلك عشرين اسما بينما لا يذكر العهد القديم منها سوى تسعة عشر[3] وذلك إذا اعتبرنا "العهد القديم" هو المصدر الذي استقى منه "لوقا" هذه الزيادة غير الموجودة في إنجيل "متى" . أما الإضافة التي أضافها لوقا فهي "قينان" بن "ارفكشاد" كما أوردها الجويني عندما ذكر نسب يوسف النجار في إنجيـل"لوقا"[4] ووردت باسم آخر وهو"خينام" بن "أرفخشد" في حين لا نجد ذكرا لهذا الاسم في "سفر التكوين" .

ب) – إذا قارنا في النسب بين انجيل متى وانجيل لوقا أي من نسب داود عليه السلام حتى عيسى عليه السلام فإننا نجد أن النسب الذي يسوقه لوقا اثنان وأربعون أما عند متى فإننا نجده سبعة وعشرين فعدد أجداد عيسى عليه السلام (المفترضين) مختلف فيه إذن فيما يسبق داود في كلا الإنجيلين ، بل الأسماء نفسها مختلفة وهذا يدل بلا ريب أن مصادر الإنجيلين متباينة.

وهذا ما قرّره "إمام الحرمين الجويني "حينما ذكر أن الأخطاء بين الإنجيلين في الحساب والنسب جميعا ويظهر أن الجويني كان مطلعا أيضا على تأويلات شراح الإنجيلين لهذه القضية حتى لا يفسح مجالا لمعترض ، فهو يذكر أن شراح الأناجيل اعتذروا بأن متى أسقط من نسب يوسف آباء خطاة لم يرد ذكرهم بل عدل عنهم لمكان خطيئتهم.

أما عن الاختلاف في الأسماء فيذكر إمام الحرمين أن الشراح اعتذروا أيضا بأن كل شخص من آباء يوسف كان له إسمان مترادفان، فذكر كل منهما إسما غير الذي ذكره صاحبه .

---

[1] المصدر نفسه – ص 52

[2] المصدر نفسه – ص 52

[3] موريس بوكاي – المرجع السابق ،ص53 وص113

[4] المرجع نفسه – ص 52

ولكن الجويني يرفض هذا الاعتذار وتأويل شراح الأناجيل لهذا التناقض ويرد على سخافاتهم هذه بقوله: "هذا هذيان، فليس لهذه الواقعة نظير في العالم أو شهادة كتاب من كتب اليهود المشتملة على تواريخ الأقدمين "[1]

يمكن القول أن قضية اختلاف إنجيل"لوقا" وإنجيل "متى" في الأسماء والنسب وارد، فالتضاد بارز و التناقض ظاهر جلي بالنسبة للنظرة العلمية...و إنه لواضح بأن متى الذي يخاطب اليهود يعود بنسب عيسى – عليه السلام – إلى ابراهيم عليه السلام مرورا بداود – عليه السلام– بينما يهتم "لوقا" الوثني الأصل والمهتدي إلى المسيحية بإرجاعه إلى أقدم من ابراهيم – عليه السلام –[2]

ثانيا : قصة إنكار بطرس للمسيح عليه السلام قبل صياح الديك :

لم يكتف الامام الجويني ببيان الاختلاف والتباين بين لوقا ومتى فحسب بل تعدي ذلك ليبين أن الاختلاف واقع أيضا بين لوقا ومرقس ويذكر على سبيل المثال لهذا التناقض بقصة إنكار بطرس للمسيح عليه السلام قبل صياح الديك كما ورد في الإنجيلين .

فقد ورد في إنجيل "مرقس" وقال لهم يسوع : " إن كلكم تشكون في هذه الليلة لأنه مكتوب : أني أضرب الراعي فتتبدد الخراف .... فقال له بطرس : وإن شك الجميع فأنا لا أشك فقال له يسوع : الحق أقول لك : إنك اليوم في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين ، تنكرني ثلاث مرات [3].

أما إنجيل "لوقا " فقد ورد فيه بصدد إنكار بطرس : "فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة ، وأما بطرس فتبعه من بعيدٍ ولما أضرموا نارا في وسط الدار وجلسوا معا ، جلس بينهم بطرس ، فرأته جارية جالسا عند النار فتفرست فيه وقالت : هذا كان معه ، فأنكره قائلا :لست أعرفه يا امرأة ، وبعد قليل رآه آخر وقال وأنت منهم ، فقال بطرس : يا إنسان لست أنا ، ولما مضى نحو ساعة واحدة أكد آخر قائلا : بالحق إن هذا كان أيضا معه لأن جليلي أيضا فقال بطرس : يا إنسان لست أعرف ما تقول ، وفي الحال بينما هو يتكلم صاح الديك فالتفت الرب ونظر إلى بطرس ، فتذكر بطرس كلام الرب كيف قال له : إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات ، فخرج بطرس إلى الخارج وبكى بكاء مرا . [4]

والمتأمل في الروايتين يرى بلا شك أن بينهما تباين واختلاف وقد أقر بذلك الجويني بعد أن عرض نص الروايتين بالتفصيل فقال : " إن أحد هذان النصين كذب وتقوّل وافتراء ، لأن مرقس صرح في إنجيله : بأن المسيح عليه السلام قال لبطرس : " قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات ." ثم بين أنه لم يتكامل له جحد الثلاث والديك لم يصح ، بل صاح مرتين قبل الثالثة .

أما لوقا فقد صرح بأن المسيح عليه السلام قال لبطرس : " لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات أنك تعرفني" . ثم بين أنه تكامل له جحد الثلاث والديك لم يصح .[5]

[1] الجويني – المصدر السابق ، ص 52 الجويني – المصدر السابق ، ص 52

[2] موريس بوكاي – المرجع السابق ،ص 89

[3] الكتاب المقدس – إنجيل مرقس ،الاصحاح 14 ،الفقرات : 27- 31

[4] الكتاب المقدس – إنجيل لوقا ،الاصحاح 22 ،الفقرات : 31- 38

[5] الجويني – المصدر السابق ،ص 56

وبعد ذلك يعلّق الإمام الجويني عن هذا التضارب والتناقض فيقول : " فالواقعة واحدة وكذلك زمانها ومكانها ونسبتها ، ومتى اتّحدت نسبة كل خبر ، وتباينا قطع بكذب أحدهما ."[1]

فهذه القصة الواقعة تمثل نموذجا من الوقائع التي ذكرت في الأناجيل : جاءت مسرودة بشكل مختلف يصل أحيانا إلى حد التعارض والتناقض مما يؤكد أن كتّاب الأناجيل لم يكونوا معاينين لتلك الأحداث التي دونوها في كتبهم .

ثالثا : الأناجيل في رواية دخول المسيح عليه السلام إلى أورشليم :

ذكرنا فيما سبق نموذجا من النماذج التي أوردها الجويني في اختلاف وتناقض إنجيل " متى " مع إنجيل "لوقا " ثم اتبعنا بعد ذلك أحد النماذج في اختلاف وتباين إنجيل "لوقا " مع إنجيل " مرقس " أيضا ، والآن نذكر نموذجا في اختلاف إنجبل " متى " مع "مرقس " و"لوقا " معا ، واختلافهم جميعا مع إنجيل " يوحنا " .

ذكر " متى" في إنجيله : " أن المسيح عليه السلام لما قرب هو وتلاميذه من أورشليم وجاء إلى (بيت فاجي) قريبا من "جبل الزيتون " أرسل اثنين من تلامذته وقال لهما : اذهبا إلى القرية التي أمامكما ، فللوقت تجدان أتانا مربوطة ، وجحشا معها فحلاهما واتياني بهما وإن قال لكما أحد شيئا فقولا : الرب محتاج إليهما فللوقت يرسلهما ... فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما .[2]

فهذه القصة موجودة عند " مرقس " و " لوقا " ولكن بصيغة مختلفة عن رواية " متى " حيث صرح "مرقس " في إنجيله وكذلك " لوقا " : " أنهم لما قربوا من أورشليم إلى بيت فاجي وبيت عنيا عند جبل الزيتون أرسل اثنين من تلامذته وقال لهما اذهبا إلى القرية التي أمامكما فللوقت وأنتما داخلان إليها تجدان جحشا مربوطا لم يجلس عليه أحد من الناس فحلاه واتيا به ، وإن قال لكما أحد : ماذا تفعلون هنا ؟ فقولا : الرب محتاج إليه فللوقت يرسله إلى هنا فمضيا ووجدا الجحش مربوطا عند الباب خارجا على الطريق فحلاه ، فقال لهما قوم من القيام هناك : ماذا تفعلان ؟ تحلان الجحش ؟ فقالا لهم : كما أوصى يسوع، فتركوهما، فأتيا بالجحش إلى يسوع، و ألقيا عليه ثيابهما فجلس عليه"[3]

نلاحظ بعد عرض نص حادثة دخول المسيح عليه السلام إلى أورشليم وجود الاختلاف والتناقض الصارخ في الأناجيل فقد صرح إنجيل "متى " أن المسيح عليه السلام دخل راكبا على الآتان مرفوقة بالجحش. أما إنجيل "مرقس " و "لوقا " فقد ذكرا أنه امتطى جحشا لوحدها كما ذكره "يوحنا" أيضا، و هذا ما كشف عنه الجويني– رحمه الله– إذ يقول بعد أن عرض اختلاف الروايتين في كيفية دخول المسيح عليه السلام لأورشيم في المرة الأخيرة:" إن أحد هذين النصين ويقصد بهما "متى" و"مرقس" أيضا قد كذب، لأن "متى"

---

[1] المصدر نفسه – الصفحة نفسها المصدر نفسه – الصفحة نفسها

[2] الكتاب المقدس – انجيل متى ،الاصحاح 21 ، الفقرات : 2- 7

[3] الكتاب المقدس – انجيل متى ،الاصحاح 21 ، الفقرات : 2- 7

صرح في إنجيله بأن تلميذيه حين أمرهما، كان أمره لهما مقيدا بالإتيان بأتان وجحش معها، ثم وصفهما إلى قوله : "ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما " بينما صرح "مرقس" في إنجيله أن ذينك التلميذين وجدا جحشا فقط، وأن المسيح جلس عليه وحده" [1]

أما في إنجيل "يوحنا " فقد ورد دخول المسيح عليه السلام إلى أورشليم بالصيغة الآتية : "وفي الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى العيد أن يسوع آت إلى أورشليم فأخذوا سعوف النخل وخرجوا للقائه وكانوا يصرخون أوصنا مبارك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل ، ووجد يسوع جحشا فجلس عليه كما هو مكتوب لا تخافي يا ابنة صهيون هو ذا ملكك يأتي جالسا على جحش أتان "[2]

وبعد أن عرض إمام الحرمين رواية الأناجيل الأربعة في سرد واقعة دخول المسيح عليه السلام إلى أورشليم وكشف عن تلك الاختلافات والتناقضات العجيبة في الأناجيل في رواية الواقعة والمتحدة في نفس المكان والزمان ، يقرر الإمام بصراحة وبلا مواربة أن هذا دليل على كذب أحد النصوص مما يجعله يعلق على هذا ساخرا به قائلا : " وأعجب من هذه الواقعة المتحدة نسبتها كيف تباينت معاينتها واختلفت حكايتها وأعجب من ذلك ، غفلتهم عن هذه النصوص وأحكامها وركونهم إلى أن جميعها جار على السداد حتى لو تفوه أحد منهم بما يوهم خللا في معانيها حكموا بسخافة عقله ."[3]

هذا بالنسبة لاختلاف النصارى وتناقض أناجيلهم وتباينها بل وأخطائها أيضا فيما يتعلق بنسب المسيح والأمور التي حدثت له حسب اعتقادهم ، وكيف كان نقد الجويني لهم فيها ورده عليهم ، والحديث عن اختلافهم هنا كالحديث عن اختلاف شرائعهم وعقائدهم بنصوص أناجيلهم ومن ذلك اختلافهم في حادثة صلب المسيح عليه السلام .

رابعا : تناقض الأناجيل في رواية آلام المسيح عليه السلام وصلبه :

وإذا كانت الأناجيل اختلفت في نسب المسيح كما بين إمام الحرمين فإنها أشد اختلافا وتباينا في حادثة صلبه وهي أساس العقيدة التي تدور عليها رحى الديانة النصرانية وإن أمكن القول أن هناك تلازما بين ديانة كل قوم وكتبهم المقدسة ، وإذا ثبت بطلان الكتاب وتحريفه نظرا لوجود الكذب والتناقض والاختلاف بين نصوصه لزم من ذلك أيضا فساد العقيدة التي تقوم عليه

فقد بين الإمام الجويني اختلاف مصادر النصارى (الأناجيل) أيضا في تقرير حادثة صلب المسيح عليه السلام ، ورواية آلامه وإن كان من المفروض عقليا أن تلاميذ المسيح عليه السلام – باعتبارهم من رواة الحادثة – الذين شاهدوها بأم أعينهم وهي حادثة مروعة وخطب جسيم بلا شك أن يتحدوا في رواية آلام المسيح ولكن من الغريب حقا أن نجد اختلافهم في نقلها وهذا بلا ريب دليل على اشتباه أو كذب بعضهم وهذا الاحتمال كاف في عدم اعتبارها جميعا ،لأن اعتبار البعض دون البعض ترجيح بلا مرجح، فلابد أن تسقط من الاعتبار [4]

[1] الجويني – المصدر السابق ،ص 58

[2] الكتاب المقدس ،انجيل يوحنا ،الاصحاح 12 ،الفقرات : 12- 16

[3] الجويني – المصدر السابق ، ص 58

[4] عبد الوهاب فرحات – منهج النقد التاريخي عند إمام الحرمين – مجلة مخبر الدرسات الشرعية ،ص 303- 304

ويذكر إمام الحرمين أن "متى " صرح في انجيله وكذلك " مرقس" حين آل أمر المسيح للصلب في زعمهم أنه " صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار وكان المجدفون يجدفون عليه، وهم يهزون رؤوسهم قائلين: يا ناقض الهيكل وبانيه ثلاثة أيام ،خلص نفسك إن كنت ابن الله " .

ثم قال "متى" : "وبذلك أيضا كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه " ولفظ مرقس : " واللذان صلبا معه كانا يعرانه[1] .

أما إنجيل لوقا فجاء فيه :أن المسيح عليه السلام لما جاء الى المكان المسمى الجمجمة صلبوه هناك ومعه عاملا الشر ، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ، ثم قال : " وكان الشعب واقفين ينظرون والرؤساء أيضا معهم يسخرون به ، قائلين : خلص آخرين فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله . وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا : إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا فأجاب الآخر وانتهره قائلا : أو لا أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ؟ أما نحن فبعدل ، لأننا ننال استحقاق ما فعلنا وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس في محله. ثم قال ليسوع : اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك فقال له يسوع : الحق أقول لك : إنك اليوم تكون معي في الفردوس "[2].

بعد أن يعرض الإمام الجويني نصوص الأناجيل في رواية حادثة صلب المسيح كعادته يقوم بكشف التناقضات والاختلافات الموجودة فيها . فقد صرح "لوقا " في إنجيله أن اللصين اللذين صلبا معه كان أحدهما مؤمنا به عطوفا عليه والآخر سابا له ، مستهزئا به وسبق تصريح "متى " و"مرقس " أن اللصين كانا كافرين به معا سابين له كل منهما ساخر منه ،والواقعة واحدة والكلام عليها كالكلام على نظائرها السالفة من اتحاد نسبتها واتحاد زمانها ومكانها . ثم يعلق الإمام على هذه النصوص قائلا : " ولاشك في تكاذب هذه الوقائع وأن قائليها طالت عليهم الأزمان إلى أن يقولوا أشياء ليسوا منها على يقين " [3]

والواقع أن لكل واحد من الأناجيل الأربعة عدد هام من الروايات تقص أحداثا يمكن أن تكون خاصة به ، أو مشتركة بين عدد من الأناجيل أو بينها كلها وما يختص به إنجيل قد يطرح أحيانا مسائل جدية وبخاصة إذا كان كمثل ذلك الحادث الغريب الذي تفرد متى بذكره ولم يتعرض له أحد من المؤرخين بعده وهذا الانفراد دليل ولاشك على وضع الخبر أو هي من اختراع وادعاء كاتب إنجيل متى وما ذلك إلا لسببين :

أولهما : أنه من الخوارق ، وثانيهما : أنه يتعلق بالمسيح والأناجيل وكما هو معلوم كلها تدور حول حياة المسيح عليه السلام .

---

1 الكتاب المقدس ،انجيل متى الإصحاح 27 ،الفقرات :38 – 44 وينظر أيضا انجيل مرقس ،الاصحاح 15 ،الفقرات 27- 32

2 الكتاب المقدس ،انجيل لوقا ،الاصحاح 23 ،الفقرات :33- 43

3 الجويني – المصدر السابق ،ص 60

ومن الغريب كما يذكر الجويني أن "متى" يروي في إنجيله أن المسيح حين صلب وأسلم الروح :"إذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل ، والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت ، والقبور تفتحت ، وقام كثير من أجسام القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور [1] .

فهذه القصة المبدعة في الغرابة تفرد بروايتها " متى " دون غيره ولم يذكرها أحد من أصحاب الأناجيل سواه وهنا يطرح الإمام تساؤل جدي حولها فيقول :" إن هذه الحادثة لو وقعت على حد ما وصفها ؛ لكانت من الخوارق والغرائب التي تتوافر الدواعي على نقلها ويحيط بها علما :كل قاص ،ودان يلهج بحكايتها والخوض في حديثها من لم يؤهل نفسه لضبط وقائع المسيح عليه السلام وتقييد قصصه فكيف ينبذ مثل هذه الغريبة المبدعة في الغرابة ظهريا من انتصب لتقييد أخباره عليه السلام ، ومحاسن غرائبه ؟ ثم كيف يهملها الثلاثة الآخرون "[2].

فالإمام الجويني استنكر وقوع هذه الحادثة الغريبة المختلفة إذ لو صح وقوعها على الوصف الذي وصفت به لكانت من قبيل الخوارق والغرائب والتي لا يمكن كتمانها بل تتوافر الدواعي على نقلها وإذاعتها لأنه عادة يؤتى بالخوارق والعجائب لتكون سندا قويا وحجة دامغة وانتصارا لصاحبها أو من نسبت اليه. وبالتالي لا يستساغ كتمانها أو تفرد أحد في روايتها. بل تشتهر ويذاع صيتها في أنحاء ذلك الإقليم هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى لو صحت هذه الواقعة فكيف ينكرها وينبذها من اختص وأعدّ نفسه لتقييد أخبار المسيح عليه السلام وتدوين محاسن غرائبه : لأن ذكرها يؤيد قول المسيح ويرفع شأنه ومكانته ، كما أن ذكرها مشعر بأن المسيح عند الله عز وجل في الدرجة العليا ، وأنه من الأنبياء المعظّمين المكرّمين .

ثم يواصل الإمام تعليقه هنا فيرى في مقابل هذا استحضار كون المسيح صلب معه لصان يسبانه ،أو يسبه أحدهما قائلين :" خلص نفسك " وهو غير قادر فذلك مما يحط من منصبه وقدره وينفي عنه تلك الدرجة العليا عند الله ويوهم أيضا أنه ليس قادرا على اتيان بشيء من الخوارق ، وهذا تناقض بعينه لامرية ولاحيلة في دفعه. ثم إذا كانت القصة واحدة وصادقة الوقوع فكيف يهملها الثلاثة الآخرون أو يغفلون عن ذكرها ؟

ومن هنا يصل الجويني إلى تقرير إما كذب متى في اختلاق القصة أو تخلف أصحابه الثلاثة ، لأنهم أهملوا ذكر الغريبة نسيانا فهم جديرون بالتخلف لبعد ذلك عادة وإن ادّعوا عدم العلم فأبعد لأن مثل هذه الخارقة الغريبة لو وقعت لتعلق بها أهل ذلك الإقليم ، قاصيهم ودانيهم ، بل أقول : لا بل علم سائر أهل الأقاليم " [3] .

---

[1] الكتاب المقدس ،انجيل متى ،الاصحاح27 ،الفقرات :51- 53

[2] الجويني – المصدر السابق ، ص 60 -61

[3] الجويني– المصدر نفسه ،ص62

وبهذا يكون الإمام قد رد على كل الإحتمالات التي يمكن أن ترد من هؤلاء أو يتبنوها للتستر وراءها وغلق عليهم أبواب ومنافذ التفلت والهروب .

خاتمة:

بعد هذه الدراسة الوجيزة لمنهج إمام الحرمين الجويني في نقد مصادر الديانة النصرانية (الأناجيل الأربعة) يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلنا إليها والتوصيات المقترحة فيما يلي :

أولا :النتائج:

1- طرح الإمام الجويني لمسألة تحريف الأناجيل وإمكانية وقوع التبديل فيها.

2- دراسة سند الأناجيل التي بيد النصارى للكشف عن انقطاع سندها وتناقضها ،ثم بيان عدم صلة هذه الكتب بالنّبي عيسى عليه السلام .

3- اعتماد الجويني على منهج علم الحديث في نقد ودراسة أحوال الرواة وكشف هويتهم لاختبار صدقهم وأمانتهم وثقتهم ، وتطبيق شروط التواتر الصحيح لتبيان أيضا ثقة هذه الكتب والمصادر .

4- اعتماده أيضا في نقد الرواة واختلاف الروايات على أدلة تاريخية ونقلية للتأكد من إمكانية تلقيهم عن النبي المسيح عيسى عليهما السلام ،كما اعتمد أيضا على الأدلة العقلية لتمييز صحيح المتن من الزائف .

5- استخدام الجويني لمنهج الوصف وذلك بوصف الكذب لحال الرواة وحال روايتهم للوقائع والأحداث وكذلك بوصفه الكذب والتحريف والتبديل في الكتب المقدسة وهذا ما يتبين أيضا عند عرضه ونقده لقضايا تتعلق بالمسيح عليه السلام مثل نسب المسيح وذكر حادثة صلبه ورواية آلامه .

6- انتهاج الإمام منهج التحليل والمقارنة ويتجلى ذلك عند حديثه عن أصحاب الأناجيل والمقارنة بين كتبهم قبل الدخول في عرض القضايا أو النصوص المراد بحثها ومناقشتها ونقدها للكشف عن التحريف الموجود فيها.

7- اهتمام الجويني في نقد المضمون (النص) بالطعن في روايات الأناجيل الأربعة نظرا للاختلاف والتباين الحاصل بينها بل الاختلاف حتى في الإنجيل الواحد ومن ذلك اختلاف إنجيل " متى " مع "لوقا " في نسب يوسف النجار.

8- من خلال عرض الجويني لنماذج من اختلاف روايات أصحاب الأناجيل في سرد الوقائع والأحداث يتبين لنا مدى اطلاعه الواسع على كتب النصارى التي بأيديهم ومعرفتها معرفة صحيحة جيدة سمحت له بالحكم عليها وعلى مؤلفيها وقد تأتي له ذلك من خلال دراسته لها دراسة وثائقية وتحليلها تحليلا نقديا ، مستخدما في ذلك عملية استقراء تاريخي دقيق استهدف به فحص الظروف والملابسات العامة التي أحاطت بكتابة هذه الأناجيل وحفظها ونقلها لتتوارثها الأجيال من النصارى وتؤسس عليها عقيدتهم ،فهذه الظروف كانت في رأي الإمام مناسبة لتحريفها وتبديلها وتغييرها.

9- يتبن لنا من دراسة الإمام الجويني لمصادر النصارى وجود العمق في العرض والتحليل في تطبيق المنهج النقدي واكتشاف الاختلافات في نصوص الأناجيل .فقد انتهج الإمام في نقده أيضا ما يسمى بالمنهج النقدي التاريخي في دراسة مصادر النصارى حيث قام بنقد الأسباب التاريخية الداخلية والخارجية التي كانت من وراء تحريف الإنجيل مما يؤكد له السبق في تطبيق منهج النقد التاريخي للأناجيل على علماء الغرب وعلماء مناهج البحث التاريخي

10- كان الإمام الجويني من خلال هذه الدراسة يهدف إلى غرضين :

الغرض الأول: إثبات أن هذه الأناجيل الأربعة محرفة ومصدرها بشري فليست هذه الكتب من تأليف عيسى عليه السلام كما ادعى النصارى ولم تكن من الوحي ولا مصدرها إلهي.

الغرض الثاني: بيان أن القرآن الكريم وهو الكتاب الوحيد الذي لم تطاله أيادي التحريف ، ولم يتعرض لشيء مما تعرضت له أناجيل النصارى .

التوصيات:

1- الاستفادة من منهج الإمام الجويني في البحث والنظر والتعمق في التحليل والنقد للتحرر من كل الموانع والحواجز التي تمنعنا من الوصول إلى الحقيقة وعدم الاكتفاء بالتقليد والتبعية للآراء والمعتقدات وذلك بإعادة تأسيسها على النظر الصحيح الذي يقوم على الحجة والبرهان .

2- الاستفادة من منهج الجويني النقدي في الرد على الفرق والمذاهب العقائدية المعاصرة التي تخالف العقيدة الصحيحة كبعض الفرق المغالية من الشيعة ، ومثل البابية والبهائية والقديانية وغيرها من الفرق الأخرى .

3- مواصلة البحث في موضوع إسهامات علماء الإسلام قديما وحديثا في دراسة الأديان وفي موضوع أسبقيتهم في تأسيس مناهج البحث والنقد والجدل والمناظرة على علماء الغرب .والاستفادة منها وتوظيفها في علم مقارنة الأديان أو ما يسمّيه البعض بحوار الأديان أو في علم الجدل والمناظرة ...

قائمة المصادر والمراجع:

1- الجويني إمام الحرمين- شفاء الغليل في بيان ما وقع في التّوراة والإنجيل من التّبديل ، تحقيق أحمد حجازي السقا ، النّاشر مكتبة الكليّات الأزهريّة ، القاهرة ، ط3 (1409هـ / 1989م) بمصر ، ص 35
2- العهد الجديد (مقدمة)ط1(بيروت لبنان ،جمعية الكتاب المقدس ،1995 م
3- الكتاب المقدس - إنجيل مرقس ،الاصحاح 14 ،الفقرات : 27- 31
4- الكتاب المقدس - نجيل مرقس ،الاصحاح 15 ،الفقرات 27- 32
5- الكتاب المقدس - انجيل متى ،الاصحاح 21 ، الفقرات : 2- 7
6- الكتاب المقدس ،انجيل متى ،الإصحاح 21 ،الفقرات : 2- 8

7- الكتاب المقدس ،انجيل متى الإصحاح 27 ،الفقرات :38 – 44

8- الكتاب المقدس ،انجيل متى ،الاصحاح27 ،الفقرات :51- 53

9- الكتاب المقدس – إنجيل لوقا ،الإصحاح 19 ،الفقرات 28- 35

10- الكتاب المقدس – إنجيل لوقا ،الاصحاح 22 ،الفقرات : 31- 38

11- الكتاب المقدس ،انجيل لوقا ،الاصحاح 23 ،الفقرات :33- 43

12- الكتاب المقدس ،انجيل يوحنا ،الاصحاح 12 ،الفقرات : 12- 16

13- أحمد عبد الوهاب – المسيح في مصادر العقائد المسيحية ،ط 1 القاهرة ، مكتبة وهبة (1971م) ،ص 39

14- محمد أبو زهرة- محاضرات في النصرانية ،تقديم عمار طالبي ، تصدير محمد الغزالي ،د ط (الجزائر – شركة الشهاب ،86 م) ،ص40

15- محمود محمد السعدي – التبيان في الفرق والأديان ،ط1 (عمان – مؤسسة الوراق 2001) ،ص 259

16- موريس بوكاي – التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ،ترجمة لجنة من العلماء ،ط2 (بيروت – لبنان ،دار الكندي 1389هـ/1978م) ،ص 69

17- نهي النجار – موسوعة الأديان السماوية والوضعية – الديانة المسيحية ،ط1 (بيروت – دار الفكراللبناني95)،ص33

18- على عبد الواحد الوافي – الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ،دط (الفجالة القاهرة – دار النهظة – مصدر للطباعة والنشر ،دت) ، ص 74

19- فهيم عزيز – المدخل إلى العهد الجديد – ط1 دار الثقافة المسيحية ،ص 560

20- ول ديورانت – قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ،ط القاهرة : جامعة الدول العربية ،ج 11 ،ص 207- 208

المقالات

1- عبد الوهاب فرحات – منهج النقد التاريخي عند الإمام الحرمين – مجلة مخبر الدرسات الشرعية – جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة – الجزائر ،العدد الثالث (محرم 1426 هـ – فيفري 2005 م)،ص 292- 293